
ISSN 2348 – 716X
مجلة
لكناؤ
المشاهد
AL - MUSHAHID
عربية شهرية جامعة
العدد الثامن السنة السادسة
أيلول ٢٠٢٠م / محرم الحرام وصفر المظفر ١٤٤٢هـ
THE BULGARIAN ISLAMIC ACADEMY
أكاديمية بلغار الإسلامية تتشرف بتخريج الدفعة الثانية من الدكاترة
التطرف بين الواقع الاجتماعي والمناخ الفكري
نظام الدراسة في الهند تحت خطورة مدهشة
تصدر
عن مجلس الثقافة والمعارف، الجامعة العليمية، بلدة جمدا شاهي، مديرية بستي، الهند

اللغة

اللغة العربية بين الأصالة والتجدد

إعداد: توحيد أحمد النظامي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الّذي نزل القرآن بلسان عربي مبين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدّين.

أمّا بعد،

إنّ أمّة تتّصف بالعلم، وترفع شعار القراءة لهي أمّة جديرة بحمل الحضارة ونشرها، وأنّ الأمّة العربية قد حصل فيها التّحول نتيجة الوحي القرآنيّ المنزل على رسول الله - صلّى الله تعالى عليه وسلّم- .

ومن المعلوم أنّ مظهر العلم وأداته هو اللّغة، فهي من أهمّ أدوات التّشكيل الثّقافي، والبناء الحضاري للأمم، فاللّغة وعاء الفكر، وأداة التّعبير، وطريقة التّفاهم، وأسلوب التّواصل، وقد قالوا: "مَن تكلّم بلسان قوم فكّر بعقلهم".

ولغة اليوم الحاضر جسر ممدود بين ماض مشرّف، نعتز به ونفتخر، ومستقبل زاهر، نتّطلع إليه، ونتشوّف، وبهذا الجسر تتّحدد شخصية الأمّة، وتتضح هويتها، كما قيل "روح الشّعب لغته".

ما أروع الأمّة الّتي تكفّل الله حفظ لسانها ولغتها بتكفل حفظ القرآن الكريم، وأنّ محاولة نشر اللّغة الأجنبية ربّما يقصد منها محاولة طمس هويتنا، فاللّغة والدّين كلاهما يرتبط بالآخر.

وإنّ كلّ سقطة لغوية ينطق بها مذيع، أو معلّم، أو مقدم برامج، أو صحفي، أو محاضر، أو خطيب، أو ممثل تترك آثارها الضّارة، وبصماتها البارزة في حياة النّاس بالسّلب، أو الإيجاب.

ومن وسائل المكائد الّتي يستخدمها أعداء الأمّة: تلك المحاولات المستمرّة الّتي تستهدف اللّغة العربيّة بما يسمّى بـ"الحداثة"، ومحاولة هدم المعمار اللّغوي، وتجاوز بناء الجملة، وطمس دلالات المصطلحات، وكسر الأوزان الشّعريّة، والدّعوة إلى إلغاء قواعد اللّغة؛ بنحوها وصرفها، وزرع لغة جديدة، وإنتاج خليط هجين من المفردات والتّراكيب بدعوى الحداثة والتّطوير، يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم، ويريدون وضع حواجز بين الأمّة وكتابها، وعقيدتها، ومعرفتها، وفكرها، وتحقيق العجز عن فهم الحضارة، وتحقيق العجز عن إدراك الحياة الوسطيّة المعتدلة، وتحقيق القطيعة الكاملة مع الذّات؛ لأنّ الجديد سيبدأ بنقطة انفصال عن الأصل، ثمّ تتوسع دائرة الانفصال لينشأ عنها التّجديد وانفصالات أخرى تؤدّي إلى مزيد من حواجز التّمزيق داخل الأمّة، وتحول دون تفاهمها وتماسكها.

وفي نطاق الدّعوة نحو التّحديث والتّطوير، قُدّمت إشكاليّة كبيرة إلى اللّغة العربيّة مفادها: أنّ اللّغة العربيّة تفتقر إلى المصطلحات العلميّة الحديثة المتطوّرة، والمتلاحقة المتسارعة، كما أن غياب المراجع العلميّة الّتي يحتاج إليها الباحث والدّارس أدى إلى مزيد من هذه الهوة.

وبالتّالي فإنّ اللّغة العربيّة في طريقها لتكون لغة دين، وطقس عبادة، معزولة عن المجالات العلميّة، حبيسة عن التّطوّرات التّقنيّة.

وإنّ مسألة توحيد المصطلح العلميّ بين الدّارسين في أرجاء الوطن العربيّ أمر مهمٌّ، وليس رغبةً؛ مَن شاء فعلها، ومَن شاء تركها، فالمسألة ليست خاضعة لنزعة سياسيّة متقلبة، أو اجتماعية مزاجيّة، بل ضرورة كبرى، واستراتيجية عليا.

هذا، وإنّ الخطأ في هذا الجانب ليس في اللّغة ذاتها، بل في الإنسان الّذي يحملها دون أن يواكب الحياة، فليست المسؤوليّة واقعة على اللّغة؛ فبمقدورها - من خلال مخزونها وكنوزها- استيعاب العلوم والفنون وإبداع المصطلحات، والمسؤولة عن التّقصير تتوجه إلى الإنسان، العاجزين عن الامتداد والنّمو العلميّ، الأمر الّذي جعل الأمّة بأسرها تعيش على فتات الآخرين.

ومن المعلوم أنَّ مَن أكل طعام غيره نطق بالشُّكر والثَّناء عليه، وتكلَّم بلسانه، وتفكَّر بعقله إن حاول التَّفكير، وربَّما ارتضى لنفسه الكسل والخنوع، بعيداً عن كل إبداع وابتكار، فتابع العيش على خيرات الآخرين، دون أن يكلِّف نفسه عناء العمل، وبذل الجهد.

هذا، ولا يُنكر الجهد المحدود المشكور في مجال تعريب العلوم، ومناهج التَّعليم، والمصطلحات العلميَّة في بعض الجامعات العلميَّة العربية، وبخاصَّة في بلاد الشَّام، وإنَّه لحجَّة على أولئك المتكاسلين، ودليل على قدرة اللُّغة العربيَّة، وشاهد حق في وجه المتخاذلين.

ولعلَّ من أهمِّ الإصابات الخطيرة والسِّهام الموجَّهة إلى صدر اللُّغة العربيَّة، ويُخشى أن تصيبها في مقتل ما قيل عن صعوبة كتابة اللُّغة العربيَّة، وصعوبة رسم حروفها، وتعقيد رسمها وشكلها، وصعوبة قواعدها، ونحوها، وصرفها.

وإنَّ الوسائل والتِّقنيات الحديثة قد جاءت كلها بالحروف اللاتينية، وإنَّ الدُّخول إلى عالم الحاسبات الآلية، وشبكة المعلومات العالميَّة يتطلب إبدال الحرف اللَّاتيني بالحرف العربيِّ.

وهذا هو أحد طرق التَّغريب للأمَّة العربيَّة، ومن ورائها من أمم المسلمين، إذ العجيب الغريب أنَّ تلك الصُّعوبات لم تنطبق إلَّا اللُّغة العربيَّة.

ولعلَّ السَّبب أنَّ وراء هذه اللُّغات أمم تُدرك أهميَّة اللُّغة، ودورها في الحياة، وتأثيرها في تشكيل العقل، وتكوين الوجدان، وصياغة الهوية.

وفي شتى بلدان العالم نجد الغيورون على اللُّغات الوطنيَّة يسعون لتأكيد أصالتها من خلال التَّعامل مع المصطلحات الأجنبيَّة وفق ما يقتضيه حال لغتهم، والبحث عمَّا يقابله في اللغة الأصليَّة أولا، فعلى سبيل المثال:

- هناك حصَّة إذاعيَّة في ألبانيا؛ لمعالجة مسألة الكلمات الدَّخيلة، ويسعى الخبراء لاستبدال الألفاظ المحليَّة بالدَّخيلة؛ حفاظاً على اللُّغة الألبانية من الذوبان في لغات أمم التقنيَّة الحديثة.
- في فرنسا يوجد المجمع الفرنسي، الَّذي لا يُدخل قاموسه إلا ما كان سليماً من حيث الأصل الفرنسيِّ، وموافقاً للذَّوق والأساليب الفرنسيَّة.

بعد أن غزا نابليون بلاد الألمان وجزّأها، وفرّق وحدتها قام رجال الفكر فيها يبعثون اللغة، ويحيون وحدتها، معلنين أنّ الوطن وطن اللغة الواحدة.

- غيرة الألمان على لغتهم، فهم يستعملون المعاني الآتية على سبيل المثال: للتليفون: التّكلم البعيد، والتلفزة: الرؤية البعيدة، والجغرافية: معرفة الأرض، والبترول: زيت الأرض.

- ذهب المشاركون في المؤتمر الدّولي الحكومي للسّياسات الإعلاميّة في إفريقيا بـ"ياوندي"- عاصمة الكاميرون- في يوليو1980 إلى الإقرار: بأن استخدام اللّغة الأصليّة، أو الوطنيّة يعد وسيلة من أنجع الوسائل: لتأكيد الذّاتيّة الثّقافيّة.

فاللّغة من المقومات الّتي تجعل للإنسان ذاتيته، أي انتماءه إلى جماعة معينة من النّاس، وذلك بالإضافة إلى دورها في تيسير تحصيل المعارف، كما أنّ استخدام اللّغة الأصليّة أو الوطنيّة يمكن من إضفاء الفعاليّة على عملية المشاركة.

في مقابل تلك الغيرة من الآخرين على لغتهم، يُلاحَظ التّهاون والتّساهل من قِبَل بعض العرب بلغتهم، فعلى سبيل المثال:

كلمة (Pendulum) يستخدمها المصريون تحت تسمية: بندول السّاعة.

ويستخدمها العراقيون تحت تسميّة: رقاص السّاعة.

ويستخدمها السّوريون تحت تسميّة: نواس السّاعة.

ويستخدمها الأردنيون تحت تسميّة: خطار السّاعة.

فعلى الأقل ينبغي أن تختار الدّول العربيّة ترجمة واحدة للمصطلح الحديث، أو تختار لهم مجامع اللّغة العربيّة كلمة واحدة، تعم الوطن الواسع بعد التّنسيق والتّعاون بين المجامع.

هذا، ويمكن تعميم هذا الخطأ على الطّوفان الجارف من مصطلحات التّقنيّة الحديثة، والاختراعات المتجدّدة، حتّى في المصطلحات السّياسيّة والإعلاميّة، يلاحظ التّقليد والمحاكاة للمصطلحات حسب

مفاهيم الآخرين، وليس حسب مفاهيم المنطقة، فمثلاً كلمة (Terror) والّتي تعني فيما تعنيه: القتل والتّدمير، والخروج على القانون، وضعت بدل كلمة الرُّهبة والخشية.

وإنّ من حقّ اللّغة العربية أن يعيشوها في حياتهم نطقًا، ويحيونها في يومياتهم سلوكًا، وأن تكون في موقع الصّدارة في الخطاب بين أبنائها فكرًا، ومن حقّ الأمّة أن تسمي الأشياء الوافدة عليها بلغتها، هي وبمسميات متناسبة مع البيئة المحليّة.

وفي الختام نقول إنّ اللّغة العربيّة مرنة مطواع، لها من خصائصها في الاشتقاق، ومزاياها في التّوليد، وأسرارها في الصّياغة، وطرائقها في التّعبير، ما يفي بترجمة روائع الفكر، ومبتكرات العلم، وبدائع الفنّ، وما يلبي مطالب الحياة والأحياء في الأنفس والآفاق، كما أنّ الارتقاء اللّغوي منوط بالفصحى، وسبيل ذلك التّطلّع إلى محاكاة أسلوب القرآن؛ المعجزة الخالدة البيانيّة، والارتقاء إلى وسائل معاصرة في تعليم اللّغة العربيّة، والتّوجّه نحو تعريب المصطلحات، فهو خيار لغوي، وسمة حضارية.

المصادر والمراجع:

- اللغة العربية في التّعليم العالي والبحث العلمي، محاضرات تتناول التّعريب في الوطن العربي؛ تدريسًا وتأليفًا ومصطلحًا، د. مازن المبارك، مؤسّسة الرّسالة، دار النّفائس، ص62.

- التّعريب ووسائل تحقيقه، محمّد الفاسي، مجلّة الأصالة، عدد خاص، رقم 18/17، 1974م، ص 117.

- دقة اللّفظ من خصائص العربيّة، محمّد مراح، جريدة اليوم، 2000/3/26م.

- دارسات في فقه اللّغة، د. صبحي الصّالح، أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بجامعة دمشق، مطبعة جامعة دمشق، 1379هـ/1960م، ص 382.